



الخوارج : أولهم الصحابي حرقوص ، وآخرهم السلفية الوهابية والدواعش (10-1)

بقلم: رائف محمد الويشي

20 سبتمبر 2014

في الحلقة الأولى اليوم من هذه الدراسة ناقش الخوارج من حيث المعني ، كما ناقش أيضا تركز دولهم علي مر التاريخ منذ اندحارهم في معركة النهروان في عام 38 هـ ..

لم يلق موضوع الخوارج كفرقة اعتقادية من الفرق الإسلامية ما يستحقه من البحث ، ويعود ذلك إلى قلة ما تركوه من مؤلفات تشرح منهجهم ..

كما تعود ندرة المعروض من مناهج الخوارج إلى حرصهم الشديد علي عدم تداول كتبهم بين عامة المسلمين ، بل قصرها علي أصحاب المذهب فقط ..

يقول د. مصطفى حلمي في كتابه الخوارج (ص 18) عن الخطيب علي بن الحسين الهاشمي ما يلي :
" من العسير الوقوف علي معتقدات الخوارج من واقع كتبهم نفسها لحرصهم الشديد عليها ، وهي نادرة إن وجدت ، فالواقع أن مكتبات المسلمين عارية من مؤلفاتهم " ..

وفي بعض الأحيان تعود ندرة المعروض من مؤلفات الخوارج إلي نهبها عند هزيمتهم ، كما حدث للإباضية التي تعتبر واحدة من فرق الخوارج ..

يقول العلامة الإباضي سليمان بن عبد الله الباروني – توفي في عام 1940 م - في الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية (ص 165) متأسفا علي ضياع تلك الكتب ما يلي :
" وإنا لنتأسف كثيرا جدا لفقد هذه التأليفات ، فلو وجدت مع ما جمع من المناظرات الواقعة مع المعتزلة للعلامة مهدي لكانت حجة بالغة ، والأمر لله وحده " ..

(ثلاث ملاحظات : الملاحظة الأولى : كانت للإباضية دولة كبرى وكانت عاصمتها تسمى تاهرت ، وقد استولي عليها الشيعة الجحاني في عام 296 هـ وأنهى حكمهم ودمر مكتبتهم العظيمة التي كانت تسمى المعصومة والتي كانت تحتوي علي أغلب كتب علماء المذهب الإباضي ..

الملاحظة الثانية : سليمان بن عبد الله الباروني ليبي الأصل ، ولد في عام 1870 م ، كان من أبرز المجاهدين الذين حاربوا الاستعمار الإيطالي بين عامي 1911 / 1916 ، عاش في المنفي منذ عام 1922 م وتنقل بين تركيا وفرنسا ، استقر بسلطنة عمان منذ العام 1924 وعمل مستشارا لسلطانها محمد بن عبد الله الخليفي وبقي هناك حتى وفاته في عام 1940 م ..

الملاحظة الثالثة : العلامة المهدي هو مهدي النفوس الذي ناظر المعتزلة بالمغرب في زمن الإمام الإباضي عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم والذي كان أبوه – عبد الرحمن بن رستم - مؤسس الدولة الرستمية الإباضية بالمغرب في عام 160 هـ ..)

لقد اتسمت حياة الخوارج بالتمرد والثورات علي الحكام ، وقد استنفذ ذلك وقتا من طاقتهم وجعلهم لا يلتقطون أنفاسهم ، مما قلل من كتاباتهم ، ومن ناحية أخرى وسعت روح التمرد جبهة أعدائهم ودفعت بهم إلي التخلص منهم ، وهو ما لم يعط وقتا كافيا للخوارج ليتفرغوا للكتابة عن منهجهم ، وهو في الأصل كان قليلا ..

ورغم تلك المصاعب التي تعترض الباحث ، إلا أننا سنحاول – بمعية من الله – أن نقدم للقارئ الكريم بحثا محايدا يقترب إلي

أقصى نقطة من الحقيقة عن الخوارج ..

من الناحية اللغوية نجد أن كلمة خوارج هي جمع تكسير لخارج ، كما هو الحال في الفواعل مع الفاعل ، وهي مأخوذة من الخروج الذي هو مصدر الفعل خرج ..

أما من الناحية التاريخية فالخوارج هم أولئك القوم الذين خرجوا على الإمام علي (ع) وتركوه في معركته مع معاوية بصفين في عام 37 هـ ، وقد تواجدت هذه الكلمة في نصوص علوية عديدة ، نذكر منها ما يلي :

النص الأول :

ذكره الطبري – توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 3 ص 116) في قول الإمام علي (ع) لربيعة بن أبي شداد الخثعمي (أحد المناوئين له في النهروان) ما يلي :
" أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت ، وكأني بك وقد وطئت الخيل بحوافرها " ..

النص الثاني :

ذكره الطبري أيضا في نفس المصدر السابق (ج 3 ص 127) في قول الإمام علي (ع) في رسالة لمساعدته مالك بن الأشتر كما يلي :
" وكنت قد وليت محمد بن أبي بكر مصر ، فخرجت عليه بها خوارج " ..

النص الثالث :

ذكره ابن أبي شيبه – توفي في عام 235 هـ - في مصنفه (ج 15 ص 320) عن رجل من بني نضر أنه قال ما يلي :
" كنا عند علي ، فذكروا أهل النهر ، فسبهم رجل ، فقال علي : لا تسبوهم ، ولكن إن خرجوا علي إمام عادل فقاتلوهم ، وإن خرجوا علي إمام جائر فلا تقاتلوهم ، فإن لهم بذلك مقالا " ..

النص الرابع :

ذكره ابن أبي حديد – توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج ص) عندما ذكر قول الإمام علي (ع) كما يلي :
" لا تقاتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحق فأخطئه كمن طلب الباطل فأدركه " ..

يعرف أبو الفتح الشهرستاني – توفي في عام 548 هـ - في الملل والنحل (ج 1 ص 114) الخوارج بما يلي :
" كل من خرج علي الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجا ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة علي الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم علي التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان " ..

(**ملاحظة** : لا تخلو كلمة الخوارج من مدح وذم ، فهم – أي الخوارج – يأخذونها كمدح لهم عملا بقول الله تعالى في سورة النساء آية رقم 100 : " ومن يخرج من بيته مهاجرا إلي الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله " ، والمعارضون لهم يأخذونها علي سبيل الذم لهم لأن الإمام علي سّمّاهم بذلك لخروجهم عليه) ..

وقد اختلف اللفظ النبوي الذي أطلقه النبي (ص) علي الخوارج بسبب طبيعة الأحداث بين الفترتين والتي امتدت لأكثر من ربع قرن ، فقد كان اللفظ النبوي هو " المارقين " ..

(**ثلاث ملاحظات : الملاحظة الأولى** : لا يدل اختلاف اللفظ النبوي (المارقة) عن اللفظ العلوي (الخوارج) علي شيء ذي أهمية ، وربما نلاحظ في مصادر أخرى أن الإمام علي (ع) كان كثيرا ما يستخدم كلمة " الخوارج " علي كل من خرج معارضا ، فقد أطلقه قبل واقعة النهروان علي أنصار عثمان المتواجدين باليمن الذين ثاروا علي واليه بها عبيد الله بن عباس وقائد جنده هناك سعيد بن نمران ..
قال ابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 2 ص 4) أن الإمام علي (ع) أرسل إلي واليه باليمن وقائد جنده المذكورين رسالة ذكر فيها ما يلي : " أما بعد ، فقد أتاني كتابكما تذكران فيه خروج هذه الخارجة " ..

الملاحظة الثانية : ورغم ذلك توارد في بعض المصادر أن لفظ الخوارج قد أطلقه النبي (ص) ، ونذكر من ذلك ما يلي :

- 1- ذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (ج 12 ص 286) عن البزار من طريق الشعبي عن مسروق عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت : ذكر رسول الله الخوارج ، فقال : " هم شر أمتي ، يقتلهم خير أمتي " ..
- 2- قال جلال الدين السيوطي في الدر المنثور (ج 2 ص 13 / 3) أن ابن أبي حاتم وابن مردويه قد أخرجا عن أبي غالب أنه سئل عن آية " إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا " ، فقال : حدثني أبو أمامة عن رسول الله (ص) أنه قال : " الخوارج " ..
- 3- ورد أن النبي (ص) قال : " الخوارج هم كلاب النار " ، وسوف نذكر نصوص هذا الحديث في الجزء الأخير من الحلقة الثانية..

الملاحظة الثالثة : تكثر الأمثلة في اختلاف الأسماء التي يسمي بها المؤيد أو المعارض ، فالقرآن قال في سورة الصافات آية رقم 83 : " وإن من شيعته لإبراهيم " ، وحتى تلك الكلمة القرآنية نجد أن صيغة تحكيم الجندل قد استخدمتها علي الطرفين المتحاربين : أيضا ، " شيعه علي " ، " شيعه معاوية " ، راجع الطبري في تاريخ الأمم والملوك ج 3 ص 103) ..

ألقاب أخري للخوارج

- 1- المحكمة : وهو الاسم الذي يلي المارقة والخوارج ، وأطلق هذا الاسم عليهم لأنهم أنكروا التكيم بعد أن أجبروا الإمام علي (ع) عليه ورفعوا شعار " لا حكم إلا لله " ..
- 2- الحرورية : أطلق علي الخوارج أيضا لفظ الحرورية لأن أغلبهم كان قد استقر في مدينة حروراء الكوفية بعد عودتهم من صفين..
- 3- أهل النهروان : وكذلك أطلق عليهم لفظ أهل النهروان لأن المعركة الفصل معهم دارت بمنطقة النهروان ، وهي تقع علي بعد 35 كم من بغداد وتسمي اليوم بمدينة أمير المؤمنين ..
- 4- الشراة : وهم من أطلق علي أنفسهم هذا الاسم هلي سبيل المدح ، عملا بقول الله تعالي في سورة التوبة آية رقم 11 : " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم " ..

(ملاحظة : إن علمنا الآن أن هناك ستة أسماء لهؤلاء القوم : الخوارج - المارقة - المحكمة - الحرورية - أهل النهروان - الشراة.. الجدير بالذكر أنهم يفتخرون بكل هذه الأسماء ويرضون بها ، عدا اسم واحد وهو المارقة .. قال أبو الحسن الأشعري صاحب المذهب في مقالاته (أنظر مقالات الأشعري لابن فورك ج 1 ص 207) ما يلي : وهم يرضون بهذه الألقاب كلها ، إلا المارقة ، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية) ..

فرق الخوارج

ينقسم الخوارج إلي أربعة أقسام : أزارقة - نجدات - صفرية - أباضية ، تتفق الأنواع الثلاثة الأولى في تكفير من رضي بالتحكيم ، بينما لا تعتبره الأباضية كذلك ، بل تراه مسلما مختلفا معه ..

* **تنسب الأزارقة** إلي نافع ابن الأزرق الذي قاتل بجانب عبد الله بن الزبير لما حاصرها الأمويون ورموها بالمنجنيق .. مع الإمام علي (ع) ، ويعتبر أكثر خوارج ذلك الزمان تشددا وإسرافا في القتل ..

* **تنسب النجدات** إلي نجدة بن عامر الحنفي ، دافع عن مكة مع ابن الزبير لما حاصرها الأمويون ورموها بالمنجنيق ..

* **تنسب الصفرية** إلي عبد الله بن الصفار الذي دافع مع ابن الزبير عن مكة أثناء حصارها من قبل الأمويين ، وقد سجنه الأمويون في البصرة وعاش بها بعد إطلاق سراحه ، ويعتبر منهجه وسطيا لو قورن بمنهج الإزارقة الذين يسرفون في الدماء وضمنها الأطفال أو قورن بمنهج الأباضية الذين يعرضون عن المخالفين لهم لو تعرضوا لأذي منهم ..

* **تنسب الأباضية** إلي عبد الله بن إباض ، رغم أن كبيرهم علي أرض الواقع كان جابر ابن زيد ، وتعتبر الإباضية هي أكثر فرق الخوارج اعتدالا ، راجع عوض محمد خليفات في نشأة الحركة الإباضية ص 92 ، وكذلك مهدي طالب هاشم في الحركة الإباضية في المشرق العربي ص 45 ..

دويلات الخوارج

ثار الخوارج علي كل الحكام المسلمين ، ثاروا علي الإمام علي (ع) وثاروا علي أعدائه في الدولة الأموية وثاروا علي العباسيين ، كانت حياتهم عبارة عن تمرد دائم علي الدولة ..

لكنهم نجحوا في تأسيس دويلات لهم ، كانت هناك واحدة في المشرق العربي وهي مستمرة حتى اليوم ، وهي الدولة الإباضية في

عُمان ، وكانت لهم أخري في المغرب العربي تسمى الدولة الصفرية..

الدولة الإباضية في عُمان

لجأ بعض من نجا من معركة النهروان في 9 صفر 38 هـ (يوليو 658 م) إلي الجبال الوعرة بأقصى الجزيرة العربية علي مدخل الخليج العربي في منطقة عُمان ، كان عددهم بحدود عشرة أفراد ، وهناك تم تشكيل النواة الأولى لمذهبهم ..

قاد مذهب الخوارج في عُمان عبد الله بن إباض التميمي ، كان من اليمن وعاصر معاوية وتوفي في عهد عبد الملك بن مروان ، لم يعرف أهل المذهب في عمان بالإباضية إلا في القرن الثالث الميلادي ، أما هم فقد أطلقوا علي أنفسهم أسماء عدة ، منها : جماعة المسلمين - أهل الحق والاستقامة - أهل الدعوة ..

كان عبد الله بن إباض صديقا لنافع بن الأزرق - أحد غلاة الخوارج - إلا أنهما افترقا عقائديا في عام 64 هـ بسبب رفض بن إباض مشاركة بن الأزرق في محاربة الأمويين ، ولقد استحق حينها الأزارقة بجدارة لفظ الخوارج ، بينما ظل الإباضية يحاولون إقناع الناس بأنهم ليسوا كذلك ، وربما ساهمت السلطة الأموية في جعل كل معارض لها ضمن الخوارج في أذهان الناس ..

بدأت محاولات تكوين الدولة الإباضية مبكرا وقبل نهاية الدولة الأموية بثلاث سنوات ، أي في عام 129 هـ ، واستمرت ثورات الإباضية مع إنشاء الدولة العباسية في عام 132 هـ ، فهم كانوا يعارضون الوراثة ، سواء كانت أموية أو عباسية ..

قام الخوارج في عمان بعدة ثورات علي الدولة العباسية ، فكانت هناك ثورة في عام 136 هـ وفشلت ، وثانية في عام 177 هـ وفشلت ، وثالثة في عام 179 هـ ونجحت واستمرت حتى الآن ..

الدولة الصفرية بالمغرب

تتأرجح الآراء حول بداية انتشار مذهب الخوارج في المغرب ، إلا أن أغلب الآراء تتفق علي أن نهاية القرن الهجري الأول شهد نزول أول الخوارج في المغرب ، وسرعان ما انتشر المذهب بين البربر ..

لقد كان بربر المغرب أحد أخلص المسلمين للدعوة الإسلامية ، إلا أن الظلم الذي لاقوه علي أيدي حكام الدولة الأموية جعلهم ينجحون لمعارضتهم ، وقد تلقف الخوارج هناك الخيط وكونوا التجمعات التي دعت إلي معارضة الدولة الأموية والانتفاض عليها ، وقد طفق الكيل بهم في عهد هشام بن عبد الملك ..

يقول الطبري - توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 2 ص 432) عن البربر ما يلي :
" فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك ، أحسن أمة سلاما وطاعة ، حتى دب إليهم أهل العراق ، فلما دب إليهم دعاة أهل العراق واستثاروهم ، شقوا عصاهم " ..

كان عكرمة مولي عبد الله بن عباس من البربر ، فلما عاد إلي هناك وشاهد مآسي وظلم الدولة الأموية في بني جلدته **قام بنشر** مذهب الخوارج ، كانت الإباضية قد انتشرت في المناطق الوعرة في الخليج كما أسلفنا - أي عُمان - ووجدت طريقها إلي المغرب أيضا ..

(ملاحظة : قيل أن عكرمة كان إباضيا ، وقيل أنه كان صفريا ، لكن كثر القول بكذبه ..

- عن ابن معين: أنه قال كان مالك يكره عكرمة ، قلت فقد روى عن رجل عنه ، قال : نعم شيء يسير ..

- عن سعيد بن المسيب : أنه كان يقول لغلامه برد يا برد لا تكذب علي كما يكذب عكرمة علي ابن عباس ..

- عن أبي الأسود : كان عكرمة قليل العقل خفيفاً ، كان قد سمع الحديث من رجلين وكان إذا سئل حدث به عن رجل ، ثم يسأل عنه بعد ذلك فيحدث به عن الآخر ، فكانوا يقولون : ما أكذبه ..)

يقول د. رفعت فوزي في كتابه الخلافة والخوارج في المغرب العربي (ص 29) ما يلي :

" وإذا كانت الروايات التاريخية لا تبين لنا بالتحديد متى قدم إلى المغرب أول من دعوا إلى مذهب الخوارج وهما سلامة بن سعيد وعكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما ، فإنه يمكن القول بأنهما قدما في أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني " ..

يقول ابن الأثير – توفي في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 5 ص 192) أن هشام بن عبد الملك قد رد علي ثورة البربر في المغرب فأرسل قواته لمهاجمتهم هناك في ثلاثين ألفا إلا أن قواته انهزمت هزيمة منكرة أمام بأس خوارج المغرب ، حتى صار المغرب ملجأ كل ناظم على الخلافة الأموية ..

لقد نجح الإباضية في تكوين دولة لهم وكان مركزها طرابلس في إفريقيا ، كان ذلك قبل نهاية دولة الأمويين في عام 132 هـ إلا أنهم انهزموا علي يد الجيش الذي أرسله أبو جعفر المنصور ، وقتل قائدهم الخارجي أبو الخطاب ..

عاد الإباضية إلي التجمع من جديد تحت قيادة عبد الرحمن بن رستم في 160 هـ وأصبحت لهم دولة من جديد هناك ، وقد استمرت تلك الدولة حتى عام 296 هـ وكانت عاصمتها مدينة تسمى تيهرت حتى انتهت علي يد أحد أنصار الشيعة واسمه عبيد الله ..

في الحلقة القادمة - إن شاء الله - سواصل الحديث ، فإلي لقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com